

تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ
فِي
تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٧٦ - ١٣٠٧

مقدمة

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
عبد الله بن عبد العزيز العقيّل

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
بكر بن عبد الله أبو زيد

اغتنى به

مسعد بن فواز الصمّيل

المجلد الأول

(١ - ٢)

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الكرميل الحبيب

في
تفسير كلام المبتدئين

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ تحقيق سعد بن فواز
الصميل.. الدمام.

٥٩٢ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ١ - ٢٥١ - ٣٩ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

١ - ٢٥٢ - ٣٩ - ٩٩٦٠ (ج ١)

١ - القرآن - التفسير الحديث أ - الصميل، سعد بن فواز (محقق)

ب - العنوان

٢٢/١٤١٠

ديوي ٢٢٧,٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

ربيع الثاني ١٤٢٢ هجري

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٢ هـ لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي
نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته
إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية

الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٢٧٥٨٩ - ٨٤٢٧٥٩٣

صرب: ٢٩٨٤ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠

الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٣

جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩

الرياض: ت: ٤٢٦٢٣٣٩

مُقَدِّمَةٌ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَقِيلٍ الْعَقِيلِ
رَئِيسِ الْهَيْئَةِ الدَّائِمَةِ بِمَجْلِسِ الْقَضَاءِ الْأَعْلَى «سَابِقًا»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده.. وبعد: فقد عرض عليّ الشيخ سعد بن فواز الصميل نماذج من تفسير شيخنا العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله. وذكر أنه عازم على إعادة طبعه بعد أن استحصل على صورة من النسخة الخطية المصححة ووعد أنه سيحرص على تحقيق الأصل وضبطه وجعله على صفة ما وضعه المؤلف دون تصرف يخلّ به مع مراعاة الترقيم وتخريج الأحاديث واستدراك ما فات في الطبعات السابقة، فشكرت له هذه الهمة المباركة ودعوت له بالتوفيق والإعانة.

الحقيقة أن هذا التفسير قد وضع الله له القبول بين المسلمين، فهو يذاع من إذاعة القرآن الكريم بالمملكة يومياً مرتين، ويقرأ في المساجد على جماعة المصلّين، ويدرس في حلقات المشايخ. وقد طبع عدة طبعات، لكنها مع الأسف لا تخلو من الأغلاط وبعضها من تصرفات المعلقين.

وهذا التفسير من أنفع التفاسير وأقربها إلى الفهم لسهولة عباراته، فهي سهلة المباني، واضحة المعاني، خالية من التعقيدات والإسرائيليات ومشاكل الإعراب، وذكر الخلاف. وأهم شيء سلامته من تأويل آيات الصفات حيث يفسرها على منهج السلف، إضافة إلى ما فيه من الاستنباطات الدقيقة، وذكر ما يستفاد من كل آية يمرّ بها في موضعها دون الإحالة إلى موضع آخر.

مُقَدِّمَةٌ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبُوزَرِيِّ

رئيس مجمع الفقه الإسلامي وعضو هيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله
وصحبه ومن اهتدى بهديه واستنَّ بسنته.

أما بعد:

فإن ما أكتبه هنا ليس تقديماً ولا تقريراً لكن دلالة على الخير وتنوياً:
فلا أكتفم القراء حديثاً إذا قلت: إنه في عام ١٣٨٠ تقريباً سمعت من
بعض الصالحين الوصية بتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي المتوفى سنة
١٣٧٦ - رحمه الله تعالى - (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)
في ثمانية أجزاء؛ لأنه يتميز بأمور أهمها: أنه تفسير مأمون جارٍ على طريقة
السلف يجمع خلاصة الأثر الصحيح والفهم السليم بسياقٍ سهلٍ مختصر،
فهو تذكرة للمنتهي، وتبصرة للمبتدي، ثم تتابع هذا السماع من آخرين من
العلماء وطلبة العلم، ثم بعد بضع سنين أهدى إليَّ ابنه ذو الوجه الصبوح
الشيخ عبد الله المتوفى سنة ١٤٠٥ - رحمه الله تعالى - بعض رسائل أبيه
الشيخ عبد الرحمن، ومنها: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير
القرآن) و(القواعد الحسان لتفسير القرآن) و(فوائد مستنبطة من قصة يوسف
عليه السلام)، فقرأت هذه الرسائل الثلاث فوجدت فيها دفعاً قوياً إلى هذا
التفسير، فكنت أستفيد منه من وقت إلى آخر حتى إذا جاء عام ١٤١٨ كان

لي شرف المراجعة الأخيرة لكتاب: (التفسير الميسر) الذي أعده نخبة من العلماء، وطبع بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بمدينة النبي ﷺ، فوجدت أن هذا التفسير يعتمد كثيراً تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ وتفسير ابن سعدي - رحمهما الله تعالى - فحصل لي من تفسير ابن سعدي نوع ارتواء، وصار لي به فضل اعتناء.

وظهر لي أنه إضافة إلى تلك الميزات، كان لفائق عنايته بكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله تعالى - ينتخب من فوائدهما ما طرّز به هذا التفسير.

من هذه المعارف وغيرها ضَمَّن - رحمه الله تعالى - تفسيره كثيراً من جلائل المعاني ودقائق الاستنباط من آيات الذكر الحكيم والقرآن المجيد، منها على سبيل المثال: ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من سورة البقرة - ١٣٦ - . وما استنبطه من الأحكام من آية الوضوء - ٦ - من سورة المائدة. والفوائد الجليّة التي يذكرها عقب قصص الأنبياء وغيرهم... وانظر إلى تلك الإشارة اللطيفة في تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحزاب - ١٣ -: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَبْأَهْلَ يَثْرِبَ! الْآيَةِ. فأبان - رحمه الله تعالى - بإشارته أن المناداة بالوطنية وترك الأخوة الإيمانية والرابطة الإسلامية من أعمال الجاهلية وليست من الإسلام وهذه فائدة عزيزة لم أرَ من حام حولها، وهذه الآية تكمل ثلاث آيات جاءت في أن «الرابطة الوطنية» ليست «رابطة إسلامية».

وإذا جاوزنا هذه المعارف والأهلية ونظرنا في سيرته العطرة، وجدناه على جانب كبير من التأسّي والاقتداء، والخير والصلاح والهدى والفلاح، ومما لم يقيد في سيرته، ما حدثني به الشيخ محمد عبد الرحيم صديق المكي المتوفى سنة ١٤٠٨ - رحمه الله تعالى - صاحب المكتبة الصديقية ضمن خزائن مكتبة الحرم المكي أنه شاهد من عبادة الشيخ في صلاته، ما يدل على الخشوع والتعلق بالله تعالى، مما علمه عن مشاهدة كيفية الأداء لهذه العبادة

العظيمة وهذا نظير ما يتناقله الأشياخ عن الشيخ محمد حامد الفقي المتوفى سنة ١٣٧٩ - رحمه الله تعالى - من قوله: إنه لم يعرف عن مشاهدة أداء الصلاة على وجهها بخشوع وخضوع لله - عز وجل - مثلما عرفها من الشيخ أحمد شاكر المتوفى سنة ١٣٧٧ - رحمه الله تعالى - فنرجو أن يكون لهذا العلامة المفسر نصيب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

[وأما «العلم اللدني» فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال علي: إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه، وفي الأثر (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وقد دلّ القرآن على ذلك في غير موضع، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا • وَإِذَا لَآتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا • وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا •﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨]، فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به، يهديه الله صراطاً مستقيماً، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُمُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدَّيْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ... [الفتاوى ١٣/٢٤٥].

ويحضرني عند التنويه بتفسير هذا الشيخ الجواب البديع من العلامة المفسر الشيخ عبد الرحمن الدوسري المتوفى سنة ١٣٩٩ - رحمه الله تعالى - عندما سئل عن أهم شروط المفسر؟ فقال على البديهة: أن تملأ قلبه الفرحة بالقرآن...

وأحسب أن الشيخ ابن سعدي ممن تحقق فيه هذا الأمر فتفجرت أنهار المعاني بين يديه وذلك من فضل الله عليه فرحمه الله وأجزل مثوبته.

وكما قيل: (إن معاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين) [انظر: الفتاوى ١٣/٢٤٥].

نفع الله الشيخ ابن سعدي بهذا السبق العلمي من عالم نجدي، فإني لا أعلم في النجديين من له تفسير كامل لكتاب الله تعالى بهذا السبك والجودة فقد قضى الشيخ - رحمه الله تعالى - الدين عن من قبله، وسبق من بعده، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد كتب الله لهذا التفسير من القبول والانتشار ما بلغ مبلغ الليل والنهار فطبع عدة طبعات منها:

١ - طبعة المطبعة السلفية بمصر، نجز أولها في حياة المؤلف وآخرها بعد وفاته على إعواز فيها من التطبعات، وسقط بعض الجمل والكلمات؛ لظروف الطباعة آنذاك.

٢ - طبعة المؤسسة السعيدية بالرياض، بتحقيق محمد زهري النجار، وقد أفسدها بإدخالات عليها ليست منه، وقد أفرد في نقد هذه الطبعة تلميذه البار الشيخ محمد بن سليمان بن عبد العزيز البسام رسالة باسم «كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار».

٣ - طبعات تتابعت منها ما طبع عن الأولى، ومنها ما طبع عن الثانية.

٤ - ثم طبع طبعة مصححة جُرِّدَتْ من إدخالات النجار المذكور.

٥ - والآن هذه طبعة تميّزت بالحسينيين تصحيحها من التطبيع والسقط ومن إدخالات النجار عليها، مقابلة على نسختين خطيتين، مفصلة المقاطع مفهومة الموضوعات والفوائد، ينبغي أن تكون أصلاً، يدفع الإخوان ما يقع لهم من تصحيحات وملاحظات إلى ناشرها؛ لاستدراكها في طبعة لاحقة - بإذن الله تعالى - والله ولي التوفيق.

وكتب

بكر بن عبد الله أبو زيد

٨ شعبان ١٤٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

«إن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضئ، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيم حميد»^(١).

أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بلسان عربي مبين قال عز وجل: ﴿وَلَنُزِّلُكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

فبلغ صلوات الله وسلامه عليه للناس البلاغ المبين فلم يتوفاه الله إلا بعد أن بلغ وبين ما أنزل إليه في هذا الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩٦﴾﴾ [النحل: ٤٤].

وقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [النحل: ٦٤].

قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية^(٢): «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وما أنزلنا عليك كتابنا، وبعثناك رسولاً إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله». وقد ثبت ما يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم قد تلقوا من رسول الله ﷺ تفسير القرآن، فقد كان الرجل منهم إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن^(٣).

(١) تفسير ابن جرير (٦/١).

(٢) تفسير ابن جرير (٢٣٦/١٧).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٨٠/١). وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح» وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى.

قال أبو عبد الرحمن السلمي وهو من كبار التابعين: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً^(١).

وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أشكل عليهم شيء سألوا النبي ﷺ فإنه لما نزل قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾. قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم؛ (بشرك)»^(٢).

ثم قام بالبيان والتفسير بعده ﷺ أحسن الناس بياناً وأصدقهم إيماناً وأعمقهم علماً (الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء)^(٣). أولئك أصحابه ﷺ، اختارهم الله من بين العالمين لصحبة نبيه ﷺ لثلاثة وعشرين عاماً فكان القرآن ينزل عليهم بلغتهم التي نشؤوا عليها فيعونه ويعملون به.

فكان من أشهرهم تفسيراً الخلفاء الراشدون وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم أجمعين.

وكان من أكثرهم رواية في التفسير عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي يقول عن نفسه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت. ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»^(٤).

وعبد الله بن عباس رضي الله عنه ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٥). وقال عنه ابن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»^(٦).

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٨٠/١). وقال أحمد شاكر: «إسناده صحيح متصل». ورواه الحاكم في «المستدرک» (٥٥٧/١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٣٣٦٠) ومسلم (٢٤٦٢).

(٣) اقتباس من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من كتاب الحموية (ص ٢١٢).

(٤) رواه البخاري (٥٠٠٢).

(٥) رواه الإمام أحمد (٢٣٩٦) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٤٩٤/١) وصححه أحمد شاكر. ورواه البخاري (٧٥ و ١٤٣) بلفظ: «اللهم علمه الكتاب».

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره (٩٠/١). والإمام أحمد في الفضائل (١٨٦٠) وقال الحافظ في الإصابة (١٤٦/٤): «سنده حسن».

ثم صار التفسير بعد الصحابة إلى التابعين وخاصة أصحاب عبد الله بن عباس في مكة كمجاهد وسعيد بن جبير وأمثالهم. قال مجاهد: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»^(١). ولهذا قال الثوري: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم. وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرّر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره»^(٣).

وكذلك أيضاً أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة ومسروق وأمثالهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أقرأ شيئاً ولا أعلمه إلا علقمة يقرؤه أو يعلمه»^(٤).

وللحافظ ابن حجر رحمه الله فصل جامع^(٥) لا يستغني عنه الناظر في كتب التفاسير لمعرفة أشهر الأسانيد المروية عن التابعين ومن بعدهم؛ بيّن فيه حال من نقل التفسير من التابعين ومن بعدهم.

والمقصود أن نعلم أن الصحابة والتابعين قد فسروا القرآن وبيتوا ألفاظه ومعانيه، وعلينا الرجوع إلى أقوالهم إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة. وأما الخلاف الواقع بينهم فهو قليل وغالب ما يصح عنهم في الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ذكر ذلك وبيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مقدمة التفسير».

ثم اهتم العلماء بالتصنيف لجمع تفاسير الصحابة والتابعين مسندة إليهم كابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد بن حميد. قال ابن حجر: «فهذه التفاسير الأربعة قل أن يشذ عنها شيء في التفسير المرفوع والموقوف على الصحابة والمقطوع عن التابعين»^(٦).

ثم تتابع العلماء بعد ذلك بالتأليف في التفسير على تفاوت بينهم في مذاهبهم ومعتقداتهم واهتماماتهم العلمية. فكان ممن صنف في ذلك أبو محمد بن الحسين البغوي المتوفى سنة (٥١٦)، وأبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٦)، وأبو

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٩٠/١). ورواه الحاكم في «المستدرک»، وأشار الذهبي أنه على شرط مسلم. وهو كما قال إذ صرح ابن إسحاق بالسماع.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٩٠/١).

(٣) مقدمة التفسير (ص ٢٦). (٤) سير أعلام النبلاء (٥٨/٤).

(٥) انظر مقدمة كتاب العجائب في بيان الأسباب لابن حجر (٢٠١/١).

(٦) المرجع السابق (٢٠٣/١).

عبد الله محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة (٦٠٦)، وأبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة (٦٧١)، وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي المتوفى سنة (٧٤٥)، والحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة (٧٧٤)، وعبد الرحمن الثعالبي المتوفى سنة (٨٧٦)، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة (٩١١)، ومحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠)، ومحمود شهاب الدين الألوسي المتوفى سنة (١٢٧٠)، ومحمد جمال الدين القاسمي المتوفى سنة (١٣٣٢)، ومحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي المتوفى سنة (١٣٩٣). وغيرهم من علماء المسلمين الذين صنفوا في التفسير.

قال ابن جرير رحمه الله^(١):

«فأحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن... أوضحهم حجة فيما تأول وفسر، مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أمته من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه: إما من جهة النقل المستفيض... وإما من جهة العدول للأبواب... أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته؛ وأصحهم برهاناً - فيما ترجم وبين من ذلك - مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان: إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة»^(١).

وكان من المؤلفات التي أثنى عليها العلماء في هذا العصر ونال شهرة واسعة ووضع الله له القبول بين الناس تفسير الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله المتوفى سنة (١٣٧٦) وذلك لما تميّز به من أمور:

أولاً: حرص المؤلف رحمه الله على أن يكون تفسيره مقتصرًا على المعنى الإجمالي، حيث إن كثيراً من المفسرين إما أنهم استطردوا، وأطالوا في تفسير كتاب الله، أو اقتصروا على جوانب لغوية أو فقهية، فأراد رحمه الله أن يجعل المعنى هو المقصود واللفظ وسيلة له؛ ليتعرف الناس على معنى كلام الله فيهدتدون بعلومه، ويتخلقون بأخلاقه وآدابه بأقرب الطرق.

ثانياً: اختيارات الشيخ رحمه الله التي تنم عن ذكاء عقله وصفاء قلبه وسيلان

(١) تفسير ابن جرير (٩٣/١) باختصار.

ذهنه لأقوال السلف من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة الواردة في التفسير، فكانه رحمه الله جمع الأقوال الواردة في تفسير الآية ثم صاغها بعبارة المعروفة.

ثالثاً: تميّز تفسيره رحمه الله بألفاظه السهلة، وعباراته الواضحة، فلا تكلف فيه ولا تعقيد، ولا إسهاب ولا إطناب، على وجه يحصل به الفهم لأهل العلم ومن هم دونهم.

رابعاً: حسن التأليف وربط الكلام ببعضه برقاب بعض، دون عناء في سبك العبارة وهذه سمة بارزة في تفسيره رحمه الله.

خامساً: اشتمل الكتاب على جملة من الفوائد العلمية والتربوية المستنبطة من كتاب الله أشار إليها المؤلف في ثانيا تفسيره وهي فوائد متنوعة في التوحيد والفقه والسيرة والمواظ والأخلاق وغير ذلك من الفوائد.

سادساً: - وهو أهمها - سلامة الكتاب من التأويلات الفاسدة والأهواء والبدع والإسرائيليات، فالمؤلف رحمه الله أخذ بنصوص الكتاب والسنة ومتبع الآثار الواردة عن السلف الصالح.

وأخيراً: الله أسأل أن أكون قد وقفت في إخراج الكتاب بما أحسبه على الصورة التي أرادها مؤلفه رحمه الله. فما كان من صواب فبتوفيق من الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان وجزى الله خيراً كل من أفادني بملحوظاته واستدراكاته؛ لأقوم بتصويبها في طبعات قادمة إن شاء الله.

كما أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه وأن يكتب لي الأجر والثواب، إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سعد بن فواز الصميل

الحبر: ٣١٩٥٢

ص.ب: ٣١٠١٣

فاكس: ٨٤١٢١٠٠

ترجمة المؤلف (*)

اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ العلامة الفقيه صاحب التأليف الماتعة النافعة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي من النواصر من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم. ولد في محرم عام ١٣٠٧ في بلدة عنيزة من أعمال القصيم وتوفيت والدته وله من العمر أربع سنين، وتوفى والده وله سبع سنين.

نشأته وحياته العلمية:

نشأ نشأة صالحة كريمة، وعرف من حداثة سنه بالصلاح والتقوى فأقبل على العلم بجد ونشاط. وهمة وعزيمة فحفظ القرآن الكريم وهو صغير لم يبلغ الحلم، واشتغل بالعلم على علماء بلده والبلاد المجاورة، وانقطع للعلم وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيله حفظاً وفهماً ودراسة ومراجعة واستذكراً حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل. أخذ العلم عن عدة مشايخ منهم: محمد العبد الكريم الشبل وإبراهيم بن حمد الجاسر، وعبد الله بن عايض. ومحمد أمين الشنقيطي وصالح بن عثمان القاضي. ولما رأى زملاؤه في الدراسة تفوقه عليهم ونبوغته تتلمذوا عليه. وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سن البلوغ، فصار في هذا الشاب المبكر متعلماً ومعلماً. ثم اهتم بمطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم. فلما أقبل عليها نور الله بصيرته وانتفع بها وزادت علومه وتوسعت دائرة معارفه ووصل إلى درجة الاجتهاد ونبذ التقليد، وصار يرجع بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونفع الناس وسهل عليهم الأمور المعقدة. والقصد أنه صار مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم وشؤونهم فهو مدرس الطلاب، وواعظ العامة وإمام الجامع وخطيبه، ومفتي البلاد وكاتب الوثائق ومحرر الأوقاف والوصايا وعاهد الأنكحة ومستشارهم في كل ما يهمهم.

(*) اعتمدت في ترجمة الشيخ على كتاب علماء نجد - لابن بسام - مع بعض التصرف، وكذلك من ترجمة الشيخ محمد بن سليمان البسام لكتاب التعليق وكشف النقاب على نظم قواعد الإعراب لابن سعدي.

تخرج على يديه تلاميذ كثيرون جداً منهم الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع والشيخ محمد بن صالح العثيمين إمام الجامع الكبير بعنيزة وعضو هيئة كبار العلماء والشيخ علي بن محمد بن زامل آل سليم بالنحو والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً وعضو بمجلس القضاء الأعلى (متقاعد). والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام عضو هيئة كبار العلماء. والشيخ محمد بن سليمان بن عبد العزيز البسام وقد درس في الحرم المكي فترة من الزمن، وأما مؤلفاته فهي تزيد على ثلاثين مؤلفاً في أنواع علوم الشريعة من التفسير والحديث والفقه والأصول والتوحيد، كلها مفيدة خالية من الحشو والأقوال الزائفة تدلك دلالة واضحة على مغزاها، بدون تكلف أو تفكير وغالباً ما يوضح المسائل بالأمثلة ليصل المعنى إلى الذهن مباشرة بدون عناء.

أخلاقه:

كان رحمه الله سمحاً طلقاً بشوشاً مع الصغير والكبير والمعارف وغيرهم، لم يلتفت إلى الدنيا من صغره إلى أن توفاه الله، له أخلاق أرق من النسيم وأعذب من السلسيل، لا يعاتب على الهفوة ولا يؤاخذ بالجفوة أعطاه الله حبة في القلوب، وثقة في النفوس فأجمعت البلاد على وده، واتفقت على تقديره، فصار له زعامة شعبية فإشارته نافذة وكلمته مسموعة وأمره مطاع.

«كان متواضعاً جم التواضع، للصغير والكبير، وللغني والفقير على السواء. كان كثير الاجتماع مع العامة ومع الخاصة في أنديةهم وفي مجتمعاتهم، وإذا اجتمع هؤلاء أو أولئك انقلب المجلس إلى ناد علمي، فمع طلبة العلم يبحث في شئون العلم ومع العامة يرشدهم إلى ما فيه نفعهم في دينهم وفي دنياهم ولهذه الميزة - التي تدل على تفتح الوعي واستنارة البصيرة وسعة الأفق - تجد كل من يحضر مجالسه يستفيد منها علماً جماً وفوائد جزيلة»^(١).

وفاته:

كانت وفاته ليلة الخميس ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٧٦ عن تسعة وستين عاماً قضاها في عبادة الله ونفع عباد الله علماً وتعليماً وإفتاءً وتأليفاً. وصلى عليه من الغد، صلاة الظهر وانصدع الناس لموته وحزنوا عليه حزناً شديداً وبكت العيون. وخلف ثلاثة أبناء هم عبد الله ومحمد وأحمد، وبتين، وقد رثاه كثير من العلماء والأدباء.

(١) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي (ص ١١).

سؤال العلماء عليه^(١)

١ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز:

قال: «... كان رحمه الله كثير الفقه والعناية بمعرفة الراجح من المسائل الخلافية بالدليل، وكان عظيم العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وكان يرجح ما قام عليه الدليل، وكان قليل الكلام؛ إلا فيما تترتب عليه فائدة، جالسته غير مرة في مكة والرياض، وكان كلامه قليلاً إلا في مسائل العلم، وكان متواضعاً، حسن الخلق، ومن قرأ كتبه؛ عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل، فرحمه الله رحمة واسعة».

٢ - الشيخ محمد ناصر الدين الألباني:

وسئل فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني عن رأيه في كتاب تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي فقال:

«هو تفسير جيد، وله أقوال جيدة، مع أنّ مُراجعتي له قليلة، لكن في حدود اطلاعي عليه تبين لي أنّه متحرّر الرأي والنظر بضوابط الشرع، وليس عنده جمود أو تعصب».

وقد التقيته في دمشق قبل أكثر من أربعين سنة، وأنستُ منه علماً جماً، ورأيت فيه تواضع العلماء وهو - في هذا - كسائر علماء نجد، يُذكروننا بأخلاق العلماء المتقدمين وتواضعهم، وليس كغيرهم ممن جعلهم علمهم مغرورين متكبرين...».

٣ - الشيخ عبد الرزاق عفيفي:

قال: «... فإن من قرأ مصنفاته - ابن سعدي -، وتتبع مؤلفاته، وخالط وسبر حاله أيام حياته، عرف منه الدأب في خدمة العلم اطلاعاً وتعليمياً، ووقف منه على

(١) انظر حياة الشيخ ابن سعدي للدكتور عبد الله الطيار.

حسن السيرة، وسماحة الخلق، واستقامة الحال، وإنصاف إخوانه وطلابه من نفسه، وطلب السلامة فيما يجر إلى شر أو يفضي إلى نزاع أو شقاق، فرحمه الله رحمة واسعة...».

٤ - الشيخ محمد بن صالح العثيمين:

قال: «... إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره في عبادته وعلمه وأخلاقه، حيث كان يعامل كلاً من الصغير والكبير بحسب ما يليق بحاله، ويتفقد الفقراء، فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان صبوراً على ما يلزم به من أذى الناس، وكان يحب العذر لمن حصلت منه هفوة، حيث يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا...».

٥ - الشيخ محمد حامد الفقي:

قال: «... لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي من أكثر من عشرين سنة، فعرفت فيه العالم السلفي المدقق المحقق الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق، فيمشي وراءه لا يلوي على شيء...».

وقال: «... عرفت فيه العالم السلفي، الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القويّة الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة القويّة الكريمة النقيّة...».

طبغات الكتاب

سبق أن طبع الجزء الخامس من الكتاب مفرداً، في حياة الشيخ - رحمه الله - ثم بدا له أن يطبع الكتاب كاملاً في المطبعة السلفية بمصر. وفي أثناء الطباعة توفي الشيخ رحمه الله بعد أن اطلع على الجزء الأول وملازم من الجزء الثاني.

أولاً: الطبعة السلفية سنة ١٣٧٧ معتمدين في نشرها على النسخة التي أرسلها الشيخ ابن سعدي رحمه الله، وهذه الطبعة على ندرتها، هي أجود من الطبعة السعيدية التي جاءت بعدها وانتشرت، وعلى الرغم من الجهود المشكورة التي قام بها صاحبها الشيخ محب الدين الخطيب - رحمه الله - في نشر الكتب السلفية إلا أنه تبين أن على هذه الطبعة عدة ملاحظات، أبرزها الاستبدال لبعض العبارات أو الكلمات بما هو عليه في الأصل، كما أن هذه الطبعة لم تسلم من السقط والغلط.

واليك أمثلة كافية لتدرك الفرق بين هذه الطبعة والأصل.

الجزء/الصفحة	سطر	السورة	رقم الآية	المطبوع	المخطوط
١ - ٣٨	١٧	البقرة	٤٥	بجميع أنواعه وهو الصبر عن معصية الله	بجميع أنواعه وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها والصبر عن معصية الله
١ - ١١٧		البقرة	١٩٦	بأن كان عند مسافة قصر فأكثر أو بعيداً عند عرفات	بأن كان عنه مسافة قصر فأكثر أو بعيداً عنه عرفاً
١ - ١٤٥	٢	البقرة	٢٣٩	على نعمة التعليم	على نعمة الأمن وعلى نعمة التعليم
١ - ٢٠٤	١٧	آل عمران	١٤٠	عن القتال في سبيله ولو أرادوا	عن القتال في سبيله وكان في هذا تعريضاً بدم المنافقين وأنهم مبغضون لله. ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله ولو أرادوا الخروج
٢ - ٢٢	٨	النساء	٢٣	المحرمات بالنسب والمحرمات بالصهر	المحرمات بالنسب والمحرمات بالصهر

الجزء/الصفحة	سطر	السورة	رقم الآية	المطبوع	المخطوط
٢ - ٩١	١٦	النساء	١٣٥	تركوا الحق وقام هو بالباطل	تركوا الحق وهذا ترك الحق وقام هو بالباطل
٢ - ١١٥	١٩	المائدة	٤	جميع حيوانات البر	جميع حيوانات البحر وجميع حيوانات البر
٢ - ١٣٨	٢٤	المائدة	٤٤	مطالبون أن يعلموا الناس	مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس
٢ - ٢٠١	١٩	الأنعام	٩١	فأجب عن هذا السؤال (ذرههم في خوضهم)	فأجب عن هذا السؤال (وقل الله) الذي أنزله، فحين إذن يتضح الحق وينجلي مثل الشمس، وتقوم عليهم الحجة (ثم) إذا ألزمتهم بهذا الإلزام ذرههم في خوضهم
٢ - ٢١٦	٣	الأنعام	١٢١	لأن الوحي والإلهام يكون من الشيطان	لأن الوحي والإلهام يكون من الرحمن ويكون من الشيطان
٣ - ٢٣	١١	الأعراف	٦١	ورب جميع الخلق بأنواع التربية	ورب جميع الخلق الذي ربي جميع الخلق بأنواع التربية
٣ - ١٠٧	٢١	التوبة	٣٠	تشابهت أقوالهم في البطلان	تشابهت قلوبهم فتشابهت أقوالهم في البطلان
٣ - ١٣٩	٢١	التوبة	١٠٦	على التوبة والندم والله عليم حكيم	على التوبة والندم (والله عليم) بأحوال العباد ونياتهم (حكيم)
٣ - ١٣٩	٢٢	التوبة	١٠٦	وينزلها منازلها فإن اقتضت حكمته	وينزلها منازلها فإذا اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم وإن اقتضت حكمته
٤ - ٥٠	١٥	الرعد	١٨	ضيعوه من حقوق عباده	ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده
٦ - ١٢١	٤	الأحزاب	٥٦	اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم	اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم

الجزء/الصفحة	سطر	السورة	رقم الآية	المطبوع	المخطوط
١٢٨ - ٦	١٦	سبأ	٦	إنها تهدي إلى الصراط المستقيم وبر الوالدين	إنها تهدي إلى الصراط المستقيم المتضمن للأمور بكل صفة تزكي النفس وتنمي الأمر، وتفيد العامل وغيره كالصدق والإخلاص وبر الوالدين
١٦٣ - ٦	١٠	يس	١	المحل اللائق بهما فأحكامه	المحل اللائق بهما ووضع الجزء بالخير والشر في محلها اللائق بهما فأحكامه
١٦٤ - ٦	١١	يس	٦	وغمرتهم الضلالة فأرسل الله	وغمرتهم الضلالة وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين فأرسل الله
٩٥ - ٧	١٧	الشورى	١١	أي جعل لكم من أنفسكم وجعل لكم من الأنعام	أي جعل ذلك لأجلكم ولأجل النعمة عليكم ولهذا قال (يذروكم فيه) أي يبتئكم ويكثركم ويكثر مواشيكم بسبب أن جعل لكم من أنفسكم وجعل لكم من الأنعام
١٢٦ - ٧	٧	الزخرف	٥٩	أصناماً وأوثاناً. الثالث:	أصناماً وأوثاناً ولا يعبدون المسيح. الثالث:
١٥٢ - ٧	٢٣	الأحقاف	١٢	وهي التوراة كتاب موسى	وهي التوراة التي أنزلها الله على موسى
٦ - ٨	١	الحجرات	٧	الذنوب الصغار	الذنوب الكبار والعصيان أي الذنوب الصغار
٢٠ - ٨	١٠	ق	٤٢	يسمعون تلك الصيحة	يسمعون أي: كل الخلائق يسمعون تلك الصيحة
٤٧ - ٨	١٢	النجم	٣٩	إلا ما سعى فوصول سعي غيره	إلا ما سعى: من يرى أن القرب لا يجوز إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا لأن الله قال: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فوصول سعي غيره..

ثانياً الطبعة السعيدية طبعت عام ١٣٩٧ هـ

كتب عليها (حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار - من علماء الأزهر الشريف -) لم يعتمد في إخراجها على أصل وإنما اعتمد فيها على الطبعة السلفية، ولم يراع فيها ما ذكر من تحقيق أو تصحيح بل زاد الغلط والتحريف^(١)، فهو كما قيل: يوهي الأديم ولا يرفع، وعن هذه الطبعة انتشرت طبقات الكتاب^(٢)، فزادت الأخطاء في هذه الطبقات على أخطاء الطبعة السلفية، وقد ظهر ذلك جلياً أثناء المقابلة بين الأصل وبين هذه الطبعة.

ولعل من أهم الملحوظات على هذه الطبعة:

الإضافات والزيادات على ما في الكتاب، وإلحاق ما ليس من كلام المؤلف في الكتاب دون التنبيه على ذلك، وهذه وحدها كافية لمعرفة حقيقة هذه الطبعة فمن ذلك:

أ - أضاف تفسيراً للآية ٢٠٧ من سورة البقرة من تفسير ابن كثير وغيره دون أن ينبه على ذلك في الحاشية، ٢٥٢/١ - ٢٥٣ - ٢٥٤.

- (١) وقد نبّه الشيخ محمد بن سليمان آل بسام حفظه الله وعافاه في كتابه «كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار» إلى شيء من ذلك.
 - (٢) وقد وجدت اثنتي عشرة طبعة للكتاب وهي:
 - طبعة عالم الكتب بيروت.
 - طبعة دار البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.
 - طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - مصورة من النسخة السلفية -.
 - طبعة مكتبة الهدى بالخبر.
 - طبعة دار ابن الجوزي.
 - طبعة مؤسسة الرسالة - مجلدان.
 - طبعة مؤسسة الرسالة - مجلد باعثناء الشيخ عبد الرحمن اللويحق. الطبعة الأولى.
 - طبعة مؤسسة الريان ودار الذخائر.
 - طبعة مكتبة الأوس بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد.
 - طبعة مركز صالح ابن صالح.
 - طبعة إحياء التراث بالكويت ودار الصمعي.
 - طبعة دار المغني بالرياض.
- وبعد النظر في جميع هذه الطبقات تبين أنها إما مصورة من النسخة السعيدية أو معتمد عليها.

- ب - أضاف تفسيراً للآيات ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - من سورة الأنعام قوله تعالى: (وكذلك نصرف الآيات) إلى قوله (وإصلاح أمرهم) ٤٥٠/٢ - ٤٥١ - ٤٥٢.
- ج - أضاف عند تفسير الآية ١٣٨ من سورة الأعراف ٨٥/٣ (قالوا من جهلهم وسفهمهم... إلى قوله كما اتخذها هؤلاء).
- د - أضاف تفسيراً للآية ٦٤ من سورة النحل ٢١٥/٤ (وما أنزلنا عليك يا محمد هذا القرآن... إلى قوله وبالكتاب الذي أنزله).
- هـ - أضاف تفسيراً للآية ١٠ من سورة الحج ٢٧٨/٥ - ٢٧٩ (ذلك) ما ذكر من العذاب الدنيوي والأخروي... إلى قوله بل يجازي كلا منهم بعمله.
- و - أضاف تفسيراً للآية ٥٠ - ٥١ من سورة الحج ٣٠٨/٥ - ٣٠٩.
- ز - أضاف في سورة المؤمنون بعد تفسير الآية ٤١ - الآية التي في سورة الدخان ٢٩ ٣٥٠/٥ مع تفسيره لها (فما بكت عليهم السماء... إلى قوله ولم يمهلوا لتدارك تقصيرهم احتقاراً لهم).
- ح - وأضاف تفسيراً للآية ٣١ من سورة القمر ٢٣٧/٧ (إنا أرسلنا عليهم... إلى قوله... اتخذ حظيرة لبهائم).
- وإليك عرضاً لهذه النماذج:

— ٢٥٢ —

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾
 ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْإِبَادِ﴾ (٢٠٧)

لها، المزكى لها^(١) وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والحق والمبطل من الناس، ببر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يفتقر بتدوينهم وتركيبهم أنفسهم.

ثم ذكر أن هذا المنفذ في الأرض بمعاي الله، إذا أمر بتقوى الله تكبر وأنف.

[وأخذته العزة بالإثم] فيجمع بين العمل بالمعاصي والتكبر على الناصحين.
 [لحسب جهنم] التي هي دار العاصين والمتكبرين.

[ولبس المهاد] أى: المستر والسكن، عذاب دائم، وهم لا ينقطع، ويأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب، ولا يرجون الثواب، جزاء لجنايتهم ومقابلة لأعمالهم.
 فعياًذا بالله، من أحوالهم.

معانى المفردات. قال فى الصراح: شريت الشئ. أشريه شراء: إذا بعته وإذا اشتريته أيضاً، وهو من الأضداد.

قال الله تعالى [ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله] أى: يبيعها.

[وقال تعالى: وشروه بئس بئس دراهم معدودة] أى: باعوه به ومثله فى القاموس.

هذه الآية نزلت فى صهيب بن سنان الرومى حين أراد الشركون

(١) قوله (المصدق لما المزكى) تكرار (لا) بعد (المصدق) و (المزكى) لاداعى له. فالأنسب أن يقال (المصدق والمزكى لها).

— ٢٤٣ —

على ترك الإسلام ، كما رواه ابن عباس وأنس ، وسعيد بن المسيب وأبو عثمان
النهدى وعكرمة وجماعة غيرهم .

وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة ، منعه الناس أن يهاجر بماله ،
وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر : فعل .

فتخلص منهم وأعطاهم ماله ، فأنزل الله فيه هذه الآية .
فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة ، إلى طرف الحرة ، فقالوا له : ربح البيع
ربح البيع

فقال : وأنتم ، فلا أخسر الله تجارتكم ، وما ذاك ؟
فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « ربح البيع صهيب » .
وحدث أبو عثمان النهدى عن صهيب قال : لما أردت الهجرة من مكة
إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت لي قريش :
يا صهيب ، قدمت إلينا ولا مال لك ، وتخرج أنت ومالك ؟ والله
لا يكون ذلك أبداً .

فقلت لهم : أرايتم إن دفعت إليكم مالى تخلون عني ؟ قالوا : نعم .
فدفعت إليهم مالى ، فخلوا عني ، فخرجت حتى قدمت المدينة .
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ربح صهيب ربح صهيب
مرتين .

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن شمعيد بن المسيب قال : -

أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي صلى الله عليه وسلم، فاتبعه نفر من قريش.
 فنزل عن راحلته، ونزل ما في كنانته، ثم قال :
 يا معشر قريش، قد علمتم أني من أركامكم رجلاً .
 وأنتم — والله — لا تصلون إلى حتى أرى بكل سبهم في كنانتي،
 ثم أضرب بسيفي، لمّا بقي في يدي منه شيء. ثم افعلوا ما شئتم .
 وإن شئتم دلتكم على مالي وقبعتي بمكة، وخاتمت سبيلي، قالوا له : نعم .
 فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ربيع البيع » قال : ونزل
 ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد^(١).
 وأما الأكترون، ففعلوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل
 الله كما قال تعالى :

[إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في
 سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن
 أوفى بهذه من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم].
 ولما حمل هشام بن عامر بين الصننين، أنكر عليه بعض الناس .
 فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما، وتلوا هذه الآية .
 ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد^١.
 من تفسير ابن كثير بتصرف يسير .

(١) قال أبو السعود في تفسيره : فـ « يشرى » حينئذ بمعنى « يشتري »
 لجران الحال على صورة الشرى^١ .

- ٤٥٠ -

وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَآيَتُهُمْ دَرَسَتْ وَلِيُتَبَيَّنَ

ب -

قوله تعالى (وكذلك نصرف الآيات) السكاف في موضع نصب صفة
للمصدر المحذوف ، أى : نصرف الآيات نصرفها ، مثل ما نلونا عليك .
والتعريف منها : التنوع .

والمراد : أن الله تعالى ، ينوع الآيات الدالة على الماني الرائة ، الكاشفة
عن الحقائق النافقة ، لانصريفها أدنى منه ، بل نصرفها بألف في الروعة مبلغاً
ارتقى عن إدراك الخلقين .

قوله تعالى (وآيتولوا درست) جوابه محذوف ، تقديره « ونحن
نصرفها » أو نعمل ما نعمل من التعريف المذكور [معنى درست] عملت .
وقرأت كتب أهل الكتاب أى : قدمت هذه الآية ومضت .

كما قالوا : أما خير الأولين ، فتأملوا من مضوا من أهل الكتاب من
الأمم إلى بقية .

(وآيتولوا درست) صلة لفعله قد حذف ، تدويلا على دلالة السباق
عليه .

أى ، وليقولوا : درست نعمل ما نعمل ، من التعريف المذكور .
واللام للعاقبة والصورورة ، والواو اعتراضية . أى : انتصير عاقبة أمرهم
إلى أن يقولوا درست وهو كقوله تعالى .

(فأنظروا آل فرعون ليسكون لهم عدوا وحزنا) وهم لم ياتوا به لادواة
وإنما التظاهرة ، يصبر لهم قوة عين ، ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى
الادواة .

اَقَوْمٌ يَدْعُونَ (١٠٥) اَتَّبِعْ مَا اَوْحَىٰ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا اِلَهَ
اِلَّا هُوَ وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اشْرَكُوا

وكذلك الآيات ، صرفت للتبيين ، ولم تصرف ليقولوا : درست .
ولكن حصل هذا القول بتعريف الآيات كما حصل التبيين ،
فتبين به .

وقوله تعالى [ولينبيهه] أى : القرآن ، وإن لم يبره ذكر ، لئلا يكون
معلوماً ، أو الآيات ، لأنها فى معنى القرآن .

[لقوم يدعون] الحق من الباطل .

ومجمل معنى الآية :

ومثل هذا التنوع البديع فى عرض الدلائل الكونية : ندرش آياتنا
فى القرآن متنوعة مفصلة ، لتقيم الحجة بها على الجاحدين ، فلا يدعوا الاختلاف
والكذب ، فيتمموك بأنك تعلمت من الناس ، لا من الله ، ولتبين ما أنزل
إليك من الحقائق ، من غير تأثير بهوى ، لقوم يدعون الحق ،
ويذعنون له .

* اتبع - أطيعا النبي - ما جاءك به الوحي من الله ، مالك أمرك ،
ومدبر شئورك ، إنه - وحده - الإله المستحق للطاعة والخضوع ،
فالتزم طاعته ، ولا تبال بعناد المشركين ، ولا تعطل بهم ، وبأقاربهم
الباطلة .

* قوله تعالى [ولو شاء الله] أى : إني أنهيهم فالقول به محذوف
[ما أشركوا] بين أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم

— ٤٢ —

وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١٠٧) ﴿١٠٧﴾

اختبار الإيمان لهدام إليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فأشركوا بمشيئته
 ٥ قوله تعالى (وما جعلناك عليهم حفيظاً) أى وقياً مهيباً من قبلنا مراعي
 لأعمالهم مأخوذاً بإجرامهم وكذلك قوله (وما أنت عليهم بوكيل) من
 جنتهم ولا بمسائط تقوم بتدبير أمورهم وترعى مصالحهم .

والمنى الإجمالى للآية :

ولو أراد الله أن يبدوه وحده ، لظهرهم على ذلك ، بقوته وقدرته ،
 لكنه تركهم لاختيارهم .

وما جعلناك رقيباً ، بمعنى عليهم أعمالهم ، وما أنت بمكلف ، بأن تقوم
 عنهم ، بتدبير شؤونهم ، وإصلاح أسرهم .

قَالُوا يَدْرُسَى أَجَلَنَا إِلَهًا كَمَا لَكُمْ إِلَهَةٌ قَالَتْ لَكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبِطِلٌ مَا كَانُوا
يَعْبُدُونَ (١٣٩) قَالَتْ أَغْيِرَ اللَّهُ أُنْبِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

[قال] لهم موسى : [إنكم قوم تجهلون] وأي جهل أعظم من جهل
الإنسان ، ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره ، من لا يملك نفعا ولا ضررا ،
ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا !!

ولهذا قال لهم موسى [إن هؤلاء متبر^(١) ما هم فيه وباطل ما كانوا
يعملون] ، لأن دعائهم إلبعا باطل ، وهي باطلة بنفسها ، فالعمل باطل ،
وغايته باطلة .

[قال أغير الله أنبيكم إلها] أي : أطلب لكم إلها غير الله المألوه ،
الكامل في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله .

[وهو فضلكم على العالمين] فيقتضي أن تقابلوا فضله ، وتفضيه ،
بالشكر .

وذلك بإفراد الله وحده ، بالعبادة ، والكفر بما يدعى من دونه .

[قالوا] من جعلهم ومنهم ، لنبيهم موسى ، بعد ما أراهم الله
من الآيات ما أراهم .
[ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة] أي : اسرع لنا ، أن تتخذ أصناما
آلهة ، كما اتخذها هؤلاء .

(١) قوله (متبر) أي مهلك ، ومدمر ، والمراد ، إن هؤلاء الذين
يبددون الأصنام هالك ما هم فيه من الدين الباطل وزائل عملهم ، لا بقاء له .

- ٢١٥ -

تَالَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْعَمَ لَهُمْ
فَقَوَّوْا لِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

﴿٦٤﴾ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
اخْتَفَوْا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾

[تَالَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ] رسلا يدهونهم إلى التوحيد .
[فزَيْنَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْعَمَ لَهُمْ] فكذبوا الرسل ، وزعموا أن ما هم عليه ،
هو الحق المنجي من كل مكروه ، وأن ما دعت إليه الرسل ، فهو بخلاف ذلك .
فذا زين لهم الشيطان أعمالهم . صار [وليهم اليوم في الدنيا] ،
فأطاعوه ، وأبوه ، وتولوه .
« أُنْتَبِذُونَهُ وَذَرِيته أَوْلِيَاءُ مِنْ دُونِي وَمَنْ لَكُمْ عُدُوٌّ بَنَسُ لِّلْغَالِبِينَ
بَدَلًا » .

[وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] في الآخرة ، حيث تولوا ، عن ولاية الرحمن ،
ورفروا بولاية الشيطان ، فاستحقوا لذلك ، عذاب الموان .

« يقول تعالى : وما أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْقُرْآنَ ، إِلَّا لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
الْحَقَّ ، فَمَا كَانَ مَوْضِعَ اخْتِلَافِهِمْ ، مِنَ التَّوْحِيدِ ، وَالْقَدَرِ ، وَأَحْكَامِ الْأَعْمَالِ
وَأَحْوَالِ الْإِنْعَادِ ، وَابْيَكون هُدَايَةً تَامَةً ، وَرَحْمَةً عَامَةً ، اقْرؤمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ،
وَبِالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ .

خِزْيُ وَنَذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ (٩) ﴿٩﴾
 ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ
 لِلْعَبِيدِ (١٠) ﴿١٠﴾

فقد فرح بما معه من العلم الغير النافع . واحترأ أهل الحق ، وما هم
 من الحق .

[ليضل] الناس أى : ليكون من دعاة الضلال .
 وبدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال .
 ثم ذكر عنهم الديونية والأخرية فقال :
 [له فى الدنيا خزى] أى : يفتضح هذا فى الدنيا قبل الآخرة .
 وهذا من آيات الله العجيبة ، فإنك لا تجد داعياً من دعاة الكفر
 والضلال ، إلا وله من امت بين العالمين ، واللعنة ، والبغض ، واندم ، مآثر
 حقيق به ، وكل بحسب حاله .
 [ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق] أى نذيقه حرّاً شديداً ،
 وسعيرها البليغ ، وذلك بما قدمت يداها .

* [ذلك] ما ذكر من المذاب الديوى والأخرى .
 وما فيه من معنى البعد (وهو معنى اللام فى « ذلك » الموضوع للدلالة
 على البعد) للدلالة على كون الكافر فى النهاية القدوى من المحول والنقطة .
 [بما قدمت يداك] أى : بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى .
 [وأن الله ليس بظلام للعبيد] أى : والأسر أنه تعالى ليس بمهذب
 عبيده بغير ذنب من قبلهم .

- ٢٧٩ -

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّبِعُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ
أَطْأَنَ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

والمعنى الإجمالى : أنه يقال للكافر النوروف بذلك الأوصاف فى الآيتين
السابتين :

ذلك الذى نلتاه من خزى وعذاب إنما كان بسبب انترالك وتسكبرك
لأن الله عادل لا يظلم ، ولا يسوى بين الزمن والكافر ، والصالح والفاجر ،
بل يمازى كلا منهم بعمله .

• أى : ومن الناس من هو ضعيف الإيمان ، لم يدخل الإيمان قلبه ، ولم
تحالطه بشاشته .

بل دخل فيه ، إما خوفاً ، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن .

[فإن أصابه خير اطمئن به] أى : إن استمر رزقه رغداً ، ولم يحصل
له من المكروه شئ ، اطمأن بذلك الخير ، لا إيمانه .

فهذا ، ربما أن الله بهانيه ، ولا يفيض له من الفتن ، ما يتعرف به
عن دينه .

[وإن أصابت فتنة] من حصول مكروه ، أو زوال محبوب [انقلب
على وجهه] أى : ارتد عن دينه .

[خسر الدنيا والآخرة] أما فى الدنيا ، فإنه لا يحصل له بالردة ما أمله
الذى جعل الردة رأساً له ، وعرضاً عما يظن إدراكه لغاب سميه ، ولم
يحصل له ، إلا ما قسم له .

- ٣٠٨ -

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٤٩)
 ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٥٠) وَالَّذِينَ
 سَوَّوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴿٥١﴾

* بأمر تعالى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يخاطب الناس
 جميعاً ، بأنه رسول الله حقاً ، مبشراً للؤمنين بثواب الله ، منذراً للكافرين
 والظالمين ، من عتابه .

وقوله [مبين] أى : بين الإنذار، وهو التخويف ، مع الإعلام بالخوف .
 وذلك لأنه أقام البراعين الساطعة ، على صدق ما أُنذروهم به .

ثم ذكر تفصيل النذارة والبشارة فقال :

[فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ] لا فصل منهم من
 الذنوب .

[وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] هى الجنة . والكريم من كل نوع : ما يجمع فضائله
 ويمجوز كلالته .

وحاصل معنى الآية . فالذين آمنوا بالله ورسوله واستمروا ذلك الإيمان
 بقلوبهم حتى أصبح إيماناً صادقاً وعملوا الأعمال الصالحة لهم مغفرة من الله
 لذنوبهم التى وقعوا فيها ، كما أن لهم رزقاً كريماً فى الجنة ، جمع هذا الرزق
 جميع الفضائل والكلمات .

[وَالَّذِينَ سَوَّوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ] أى : سابقين أو متابعين فى زعمهم
 وتقديرهم طامعين أن كيدهم للإسلام يتم لهم [أولئك] الموصوفون بما ذكر
 من السعى والمعاجزة [أصحاب الجحيم] أى : ملازمون للنار الموقدة

- ٣٠٩ -

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَنَّى الْإِنْسَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ
يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْزَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ

المصاحبون لها في كل أوقاتهم ، فلا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتروا عنهم
لحظة من أليم عقابها . -
وحاصل المعنى . والذين أجهدوا أنفسهم في محاربة القرآن ، سابقين
المؤمنين في زعمهم ، معارضين لهم ، شاقين ، زاعمين - خطأ - أنهم بذلك
ييلنون ما يريدون ، أولئك يخلدون في عذاب الجحيم .

• يخبر تعالى بمحكمة الباقية ، واختياره لعباده ، وأن الله ما أرسل قبل
محمد [من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى] أى : قرأ قراءته ، التى يذكر
بها الناس ، ويأمرهم وينهاهم .
[ألقى الشيطان في أمنيته] أى : في قراءته ، من طرفه ، ومكيدته ،
ما هو مناقض لتلك القراءة .
مع أن الله تعالى ، قد عصم الرسل ، بما ييلنون عن الله ، وحفظ وحيه ،
أن يشبهه ، أو يختلط بغيره .
ولكن هذا إلقاء من الشيطان ، غير مستقر ، ولا مستمر ، وإنما هو
عارض ، بمرض ، ثم يزول ، ولله وارض أحكام ، ولهذا قال :
[فينسخ الله ما يلقي الشيطان] أى : يزيله ويذهب ، ويبطله ، ويبين
أنه ليس من آياته .
[ثم يحكم الله آياته] أى : يتقنها ، ويمحورها ، ويحفظها ، فتبقى خالصة
من مخالطة إلقاء الشيطان .

- ٣٥٠ -

فَبِنْدًا لِلزُّلُمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾

الروادى ، وقال فى الآية الأخرى « إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ، فكأنوا كمشيم المحتضر » .

[فبندا للزوم الظالمين] أى : أنبهوا مع عذابهم ، البعد واللعنة والدم من المالمين .

[فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين] .

هذا التعبير مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداء بوجودهم .

وفيه تهكم بهم ، وبجألم النافية لحال من يهضم ققده ، فىقال عنه : « بكت عليه السماء والأرض » .

ومنه ماروى « أن الزمن إذا مات ، لىبكي عليه مصلاه ، وبحل عبادته ، ومصاعده له ، ومهابط رزقه ، وآثاره فى الأرض .

وعن الحسن يبكى عليه أهل السماء والأرض .

[وما كانوا] لما جاءهم وقت هلاكهم [منظرين] أى : مهمالين إلى وقت آخر ، بل عجل لهم العذاب فى الدنيا .

واللهى الإجمالى : فاحزنت عليهم السماء والأرض عندما أخذهم العذاب ، لهوران شأنهم ، لأنهم ماتوا كغافرا ، ولم ينظروا التوبة ، ولم ينهكوا لتدارك تفصيرهم احتقاراً لهم .

- ٢٣٧ -

فَتَمَاطَى فَتَقَرَّ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُمْظِرِ (٣١) وَلَقَدْ بَشَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلَّذِ كَرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّ كِرِ (٣٢) ﴿٣٢﴾

[فتماطى] أى : انتاد لما أسروه به من عقرها [فقر] (١)

[فكيف كان عذابي ونذير] كان أشد عذاب ، أرسل الله عليهم
صيحة ورجفة ، أعلـكـهم عن آخرهم ، ونجى الله صالحا ومن آمن معه

[إنا أرسلنا عليهم] فى اليوم الرابع من عقرها [صيحة واحدة] صاح
بها جبريل عليه السلام .

[فكانوا] أى : فصاروا [كهشيم الحظير] .

والهشيم : الشجر اليابس المشتم المتكسر ، أو كالحشيش اليابس الذى
يحمسه صاحب الحظيرة المشتمة فى الشتاء . أى : كهشيم الحظيرة أو الشجر
انتخذ لما .

والذى الإجمالى « إنا سلطنا عليهم صيحة واحدة ، فصاروا بها كـشجر
يابس يحسه من يريد اتخاذ حظيرة لبهائه » [ولقد بشرنا القرآن لذكر
فهل من مدكر] .

(١) فقر . أى : قتلها . وقال فى آية أخرى

[فكذبوه ففروها] لرضام بفعل الفاعل الواحد ، أو لأنه عثرت
بمرفقتهم وموافقتهم على ذلك .

الطبعة الثالثة: طبعة مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٠ باعثناء وتحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، وهذه الطبعة أحسن الطبقات السابقة، حيث بذل المحقق حفظه الله جهداً كبيراً في إخراج الكتاب فجزاه الله خيراً، ونظراً لأن هذه الطبعة صدرت أثناء إعداد هذا الكتاب للطباعة؛ فقد اكتفيت بمراجعة مواضع عدة من الكتاب ظهر لي من خلالها الملاحظات التالية:

- ١ - أن المحقق اعتمد على النسخة التي بقيت لدى الشيخ، وهذا يخالف كما هو معلوم لقواعد التحقيق؛ حيث لم يجعل النسخة التي أرسلها المؤلف لطباعة الكتاب أصلاً؛ وذلك للزيادات والاستدراكات التي امتازت بها عن النسخة الأخرى.
- ٢ - أن المحقق تابع الطبقات السابقة في مجموعة من الأخطاء التي وقعت من قبل، وهذا أمر مستغرب منه؛ لحصوله على النسختين الخطيتين للكتاب. ومن أمثلة ذلك:

- ما جاء في تفسير الآية ٤٣ في سورة النساء ص ١٧٩ العمود ٣ سطر ٢٤ (بعد حصول مقصود الصلاة) كذا جاءت في جميع النسخ المطبوعة، والصواب كما في النسختين الخطيتين (بعد حصول مقصود الصلاة).

- وما جاء في تفسير الآية ٣١ في سورة الزخرف ص ٧٦٥ العمود ٢ سطر ٤٠ قوله: (ومن جرمه ومنتهى حمقه) كذا في جميع النسخ المطبوعة، والصواب كما في النسختين الخطيتين (ومن حزمه ومنتهى عقله) ثم إن المصححين في المطبعة السلفية شطبوا عبارة الشيخ، وكتبوا فوقها العبارة الأولى، وتبعهم على ذلك المحقق.

- في صفحة ٥٨٦ العمود ٣ سطر ٧ من الأسفل قوله: «وإهمال الحقوق الواجبة» في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ كذا في جميع الطبقات، وصوابها أن تكون ﴿وَلَمْ يَفْسُدُوا﴾ فيدخلوا في باب البخل والشح، وإهمال حقوق الواجبة كما في النسختين الخطيتين.

- ٣ - السقط في بعض العبارات أو الكلمات ومن أمثلة ذلك:

- في صفحة ١٦٦ العمود ٢ السطر ١٨ سقط قول المؤلف (فلهم جزيل الثواب) بعد قوله الوصية، وهذا السقط انفردت به هذه الطبعة عن جميع الطبقات السابقة.

- في الصفحة ١٧٥ العمود ٢ السطر ٨ سقط قول المؤلف «كامل العلم» بعد قوله أي وهذه العبارة موجودة فقط في النسخة التي اعتبرها المحقق أصلاً.

- في صفحة ٢٦٠ العمود ٢ السطر ١٢ سقط قول المؤلف «بهذه العقوبات المذكورة» بعد قوله «بعضهم على بعض»، وهذا السقط انفردت به هذه الطبعة عن الطبغات السابقة.

- في صفحة ٢٣٩ العمود ٣ سطر ٥ سقط قول المؤلف «وعمل صالحاً» بعد قوله: «واليوم الآخر»، وهذا السقط انفردت به هذه الطبعة عن الطبغات السابقة.

- في صفحة ٥٥١ العمود ٢ سطر ٢٧ سقط قول المؤلف «وإنكار البعث والجزاء»، وهذا السقط انفردت به هذه الطبعة عن الطبغات السابقة.

- في صفحة ٥٩٦ العمود ٢ سطر ٢٣ سقط قول المؤلف «تابعنا في هذا كثير من المفسرين ولا مانع من ذلك» وهذا السقط انفردت به هذه الطبعة عن الطبغات السابقة.

٤ - نقل المحقق كلمات وعبارات كان المؤلف قد أعرض عنها أو استبدلها في النسخة التي أرسلها للطباعة ومن أمثلة ذلك:

- الآية ١٦٢ في سورة الأعراف ختم المؤلف الآية كما في نسخة «ب» بقوله ﴿يَمَّا كَانُوا يَنْسُفُونَ﴾ - وصواب الآية ﴿يَمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ - ثم فسر الآية وقال «أي: يخرجون عن طاعة الله إلى معصيته. وفي النسخة «أ» التي أرسلت للطباعة اكتفى المؤلف بتصويب الآية وأعرض عن التفسير السابق، فقام المحقق ووضع تفسير الآية كما في النسخة التي اعتمدها وصوب آخر الآية فجاءت العبارة كالتالي (بما كانوا يظلمون) أي يخرجون عن طاعة الله إلى معصيته

- صفحة ٤١١ العمود ٢ آخر سطر ذكر المؤلف أن مدة الفراق التي حصلت ليعقوب مع ابنه يوسف «لا تقتصر عن خمسة عشر سنة» كذا في النسخة التي اعتمدها المحقق ثم إن المؤلف ضرب عليها واستبدلها بخطه في هامش النسخة الأخرى «إلى ثلاثين سنة».

- صفحة ٤٠٥ العمود ٢ سطر ٢ قوله «بحر الحب» كذا في النسخة التي اعتمد عليها المحقق ثم إن المؤلف رحمه الله استبدلها في هامش النسخة «أ» بخطه إلى «بحر لحي» وهذا الخطأ والذي قبله انفردت به هذه الطبعة عن جميع الطبغات السابقة.

٥ - أخطاء عامة:

- كتقديم عبارة حقها التأخير كما في صفحة ٦١٥ العمود ٢ سطر ٢٣ قول

المؤلف «والله أعلم» وحقها أن تكون بعد قول المؤلف: «بغير نقل صحيح عن النبي ﷺ» وهذا الخطأ انفردت به هذه الطبعة عن الطبقات السابقة.

- أو إغفال فروق هامة بين النسختين كما في صفحة ٦١٥ العمود ٢ سطر ٣٢ قول المؤلف في النسخة «أ» (وظن من طول المدة...) وفي النسخة «ب» «وعلم من طول المدة...».

- أو إغفال تعليقات هامة بخط المؤلف في هوامش الكتاب كما في الآية ١٥ من سورة فاطر.

- انظر صفحة ١٤٣٣ من طبعتنا هذه. سقط: «قوله على ما فيه: أي من الصفات وعلى ما فيه من الفضائل والإنعام وعلى الجزاء بالعدل».

مخطوطات الكتاب يوجد للكتاب نسختان خطيتان

النسخة الأولى:

وهي التي أرسلها المؤلف رحمه الله للاعتماد عليها في طبع الكتاب، وتقع في ثمانية مجلدات وهي النسخة التي جعلتها أصلاً معتمداً ورمزت لها بالرمز «أ» وسوف يأتي وصفها قريباً. وقد ظهر لي بعد مقابلتها ومقارنتها بالنسخة الثانية أنها منسوخة منها ومصححة عليها، وفيها زيادات واستدراكات بخط المؤلف رحمه الله؛ لذا رأيت أن تكون النسخة الأولى هي الأصل المعتمد في إخراج الكتاب.

النسخة الثانية:

وتقع في تسعة أجزاء وهي التي بقيت عند الشيخ رحمه الله واحتفظ بها ثم آلت بعد ذلك إلى جامعة الإمام عن طريق الشيخ محمد بن صالح العثيمين حفظه الله. وهذه النسخة كتبت بخط المؤلف عدا الجزء السادس فهو بخط محمد بن منصور بن إبراهيم بن زامل. وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ب).

وهذه النسخة موافقة للنسخة الأولى عدا الجزء الأخير من سورة البقرة عند نهاية تفسير الآية (٢٣٨) وإلى نهاية تفسير الآية (١٢٩) من سورة آل عمران فإن فيه اختلافاً لما عليه في النسخة الأولى، ولعل مرده إلى أن المؤلف قد أعاد النظر في هذا الجزء أثناء نسخه للكتاب. وما عدا ذلك فهي في الغالب فروقات يسيرة أشرت لها في هامش الكتاب.

وصف النسخة المعتمدة

تحتوي هذه النسخة على ثمانية مجلدات وهي كما يلي :

المجلد الأول :

يبدأ من المقدمة وينتهي عند آخر تفسير الآية ١٢٩ من سورة آل عمران وهذا المجلد كتب بخط المؤلف، وجزء منه كتب بخط مغاير. انتهى منه مؤلفه في ٢٩ ربيع أول سنة ١٣٤٣، وجاء في آخره بلغ تصحيحاً. وعلى هذا الجزء هوامش وتصحيحات بخط المؤلف رحمه الله.

المجلد الثاني :

يبدأ من تفسير الآية ١٣٠ من سورة آل عمران، وينتهي إلى آخر تفسير سورة الأنعام، وناسخه علي الحسن البريكان. فرغ من نسخه في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٤٥، وعلى هذا الجزء هوامش بخط المؤلف، وجاء في آخر هذا الجزء بلغ مقابلة على أصله.

المجلد الثالث :

يبدأ من تفسير سورة الأعراف، وينتهي إلى آخر تفسير سورة هود. الصحائف الأول منه بخط مغاير عن بقية الجزء، ولم يكتب عليها اسم الناسخ. وعلى هذا الجزء أيضاً هوامش بخط المؤلف رحمه الله، فرغ من نسخه في يوم السبت الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٧.

المجلد الرابع :

يبدأ من تفسير سورة يوسف، وينتهي إلى آخر تفسير سورة الإسراء. وناسخه سليمان المحمد البسام. انتهى من نسخه في ٧ جمادى الأول سنة ١٣٤٤ نقله من نسخة المؤلف. وهذا الجزء عليه هوامش بخط المؤلف رحمه الله، جاء في آخره بلغ مقابلة على أصله.

المجلد الخامس :

يبدأ من تفسير سورة الكهف، وينتهي إلى آخر تفسير سورة النمل، جاء في آخره على يد جامعته، وممليه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، وذلك في ٢٢ رمضان سنة ١٣٤٣، وتم تحريره من خط مؤلفه في ٢٩ الحجة سنة ١٣٤٦.

وفي أول هذا الجزء مقدمة بخط المؤلف، ذكر فيها أنه يرغب في الاختصار على طبع هذا الجزء من أجزاء هذا التفسير، وقد ألحق المؤلف به أصولاً وكميات من أصول التفسير بخط المؤلف نفسه رحمه الله.

المجلد السادس :

يبدأ من تفسير سورة القصص، وينتهي إلى آخر تفسير سورة الصافات. جاء في آخره «تم تفسير سورة الصافات في ٦ شوال سنة ١٣٤٣ على يد جامعته وكتابه عبد الرحمن بن ناصر السعدي...».

المجلد السابع :

يبدأ من تفسير سورة ص، وينتهي إلى آخر تفسير سورة الفتح. وناسخه سليمان بن حمد العبد الله البسام، فرغ من نسخه في ١٣ ذي الحجة ١٣٤٥ نسخه من خط المفسر، وعلى هذا الجزء هوامش بخط المؤلف رحمه الله.

المجلد الثامن :

يبدأ من تفسير سورة الحجرات إلى آخر التفسير جاء في آخره؛ «تم تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه على يد جامعته وكتابه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدي، وقع النقل في ٧ شعبان ١٣٤٥ ربنا تقبل منا واعف عنا إنك أنت الغفور الرحيم».

جاء في هامشه (بلغ مقابلة)؛ وعلى هوامشه إضافات وتصحيحات بخط المؤلف رحمه الله.

اسم الكتاب

اشتهر الكتاب باسم «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» والمؤلف رحمه الله تفاوتت عباراته في تسمية الكتاب على النحو التالي:

- ١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .
 - ٢ - تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن .
 - ٣ - تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن .
 - ٤ - تيسير الرحمن في تفسير القرآن .
 - ٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرب المنان .
 - ٦ - تيسير الكريم المنان في تفسير آيات القرآن .
 - ٧ - تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الملك المنان .
 - ٨ - إملأ ما من به المنان من تفسير القرآن .
- وقد رأيت أن أبقى اسم الكتاب على ما اشتهر عليه بين الناس ولأن المؤلف ذكره بهذا الاسم في أكثر من موضع .

عملي في الكتاب

١ - اعتنيت بضبط نص الكتاب، وجهدت في إخراجه سالماً من السقط والتحريف والتصحيف الذي وقع في الطبعات السابقة وذلك بالاعتماد على النسخة «أ»، وما كان ساقطاً منها أثناء النسخ فقد استدركته من النسخة «ب» وجعلته بين معقوفتين هكذا [...] .

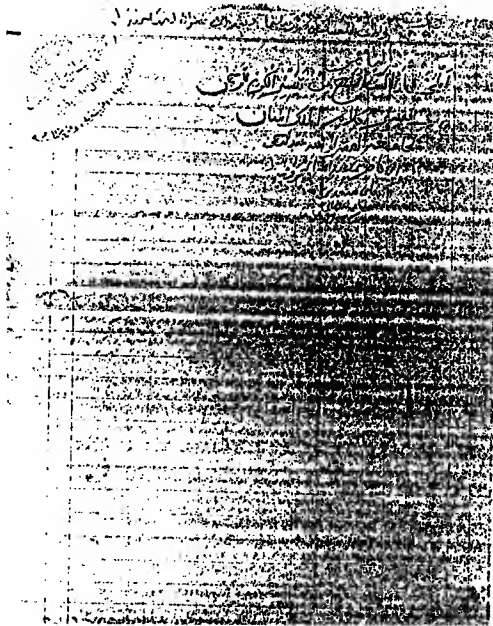
كما نبهت إلى الفروقات بين النسختين في الهامش، عدا الجزء الأخير من سورة البقرة عند نهاية تفسير الآية (٢٣٨) وإلى نهاية تفسير الآية (١٢٩) من سورة آل عمران فقد ألحقته في نهاية الكتاب .

٢ - قمت بتصويب بعض الآيات التي استشهد بها المؤلف أثناء تفسيره دون أن أنه إلى ذلك، ما عدا الآيات التي فسرهما المؤلف فإني أنه إلى ذلك في الحاشية .

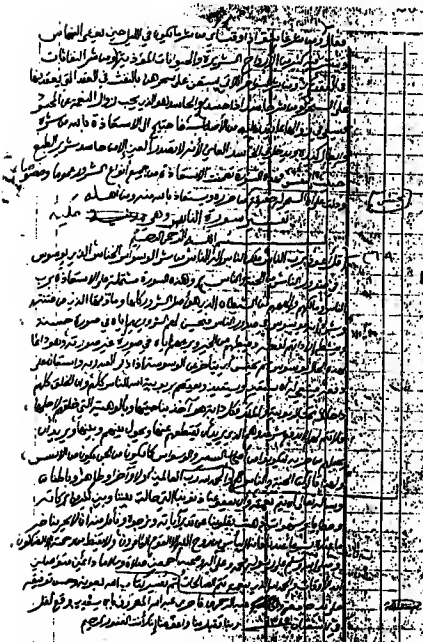
٣ - فات على المؤلف رحمه الله تفسير بعض الآيات وقد أشرت إلى ذلك في الحاشية .

٤ - عزوت الأحاديث الواردة في التفسير .

٥ - زودنا الكتاب بفهرس للمسائل والفوائد العلمية لتبرز القيمة العلمية للكتاب ولتيسر الانتفاع به وفهرس آخر للأحاديث التي استشهد بها المؤلف مع فوائدها، وقد قام بإعداده الأخ فتحي بن عبد الله جزاه الله خيراً .



صورة الغلاف من المجلد الثامن نسخة « أ »



صورة الصفحة الأخيرة من المجلد الثامن نسخة « أ »



صورة الصفحة الأولى من المجلد الثامن نسخة « أ »

تفسير القرآن الكريم
في
تفسير كلام المفسرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ
فِي
تَفْسِيرِ كَلَامِ الْمَلِكِ

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

١٣٧٦ - ١٣٠٧

مقدمة

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
عبد الله بن عبد العزيز العقيّل

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
بكر بن عبد الله أبو زيد

اغتنى به

مسعد بن فواز الصمّيل

المجلد الأول

(١ - ٢)

دار ابن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الكرميل الحبيب

في
تفسير كلام المبتدئين

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر
تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ تحقيق سعد بن فواز
الصميل.. الدمام.

٥٩٢ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ١ - ٢٥١ - ٣٩ - ٩٩٦٠ (مجموعة)

١ - ٢٥٢ - ٣٩ - ٩٩٦٠ (ج ١)

١ - القرآن - التفسير الحديث أ - الصميل، سعد بن فواز (محقق)

ب - العنوان

٢٢/١٤١٠

ديوي ٢٢٧,٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

ربيع الثاني ١٤٢٢ هجري

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٢ هـ لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي
نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته
إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية

الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٢٧٥٨٩ - ٨٤٢٧٥٩٣

صرب: ٢٩٨٤ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠

الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٣

جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩

الرياض: ت: ٤٢٦٦٢٣٩

مُقَدِّمَةٌ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَقِيلٍ الْعَقِيلِ
رَئِيسِ الْهَيْئَةِ الدَّائِمَةِ بِمَجْلِسِ الْقَضَاءِ الْأَعْلَى «سَابِقًا»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده.. وبعد: فقد عرض عليّ الشيخ سعد بن فواز الصميل نماذج من تفسير شيخنا العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله. وذكر أنه عازم على إعادة طبعه بعد أن استحصل على صورة من النسخة الخطية المصححة ووعد أنه سيحرص على تحقيق الأصل وضبطه وجعله على صفة ما وضعه المؤلف دون تصرف يخلّ به مع مراعاة الترقيم وتخريج الأحاديث واستدراك ما فات في الطبعات السابقة، فشكرت له هذه الهمة المباركة ودعوت له بالتوفيق والإعانة.

الحقيقة أن هذا التفسير قد وضع الله له القبول بين المسلمين، فهو يذاع من إذاعة القرآن الكريم بالمملكة يومياً مرتين، ويقرأ في المساجد على جماعة المصلّين، ويدرس في حلقات المشايخ. وقد طبع عدة طبعات، لكنها مع الأسف لا تخلو من الأغلاط وبعضها من تصرفات المعلقين.

وهذا التفسير من أنفع التفاسير وأقربها إلى الفهم لسهولة عباراته، فهي سهلة المباني، واضحة المعاني، خالية من التعقيدات والإسرائيليات ومشاكل الإعراب، وذكر الخلاف. وأهم شيء سلامته من تأويل آيات الصفات حيث يفسرها على منهج السلف، إضافة إلى ما فيه من الاستنباطات الدقيقة، وذكر ما يستفاد من كل آية يمرّ بها في موضعها دون الإحالة إلى موضع آخر.

وكتبه

الفقيه الميرزا محمد بن عبد العزيز بن عقیل حاکم هذا المصلح ملامه نیا محمد والده وصیبه اجمعین
رئيس الهيئة الدائمة مجلس القضاء والا على

مُقَدِّمَةٌ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ
بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبُوزَرِيِّ

رئيس مجمع الفقه الإسلامي وعضو هيئة كبار العلماء
بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله
وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته.

أما بعد:

فإن ما أكتبه هنا ليس تقديماً ولا تقريراً لكن دلالة على الخير وتنوياً:
فلا أكتفم القراء حديثاً إذا قلت: إنه في عام ١٣٨٠ تقريباً سمعت من
بعض الصالحين الوصية بتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي المتوفى سنة
١٣٧٦ - رحمه الله تعالى - (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)
في ثمانية أجزاء؛ لأنه يتميز بأمور أهمها: أنه تفسير مأمون جارٍ على طريقة
السلف يجمع خلاصة الأثر الصحيح والفهم السليم بسياقٍ سهلٍ مختصر،
فهو تذكرة للمنتهي، وتبصرة للمبتدي، ثم تتابع هذا السماع من آخرين من
العلماء وطلبة العلم، ثم بعد بضع سنين أهدى إليّ ابنه ذو الوجه الصبوح
الشيخ عبد الله المتوفى سنة ١٤٠٥ - رحمه الله تعالى - بعض رسائل أبيه
الشيخ عبد الرحمن، ومنها: (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير
القرآن) و(القواعد الحسان لتفسير القرآن) و(فوائد مستنبطة من قصة يوسف
عليه السلام)، فقرأت هذه الرسائل الثلاث فوجدت فيها دفعاً قوياً إلى هذا
التفسير، فكنت أستفيد منه من وقت إلى آخر حتى إذا جاء عام ١٤١٨ كان

لي شرف المراجعة الأخيرة لكتاب: (التفسير الميسر) الذي أعده نخبة من العلماء، وطبع بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بمدينة النبي ﷺ، فوجدت أن هذا التفسير يعتمد كثيراً تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ وتفسير ابن سعدي - رحمهما الله تعالى - فحصل لي من تفسير ابن سعدي نوع ارتواء، وصار لي به فضل اعتناء.

وظهر لي أنه إضافة إلى تلك الميزات، كان لفائق عنايته بكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله تعالى - ينتخب من فوائدهما ما طرّز به هذا التفسير.

من هذه المعارف وغيرها ضَمَّنَ - رحمه الله تعالى - تفسيره كثيراً من جلائل المعاني ودقائق الاستنباط من آيات الذكر الحكيم والقرآن المجيد، منها على سبيل المثال: ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من سورة البقرة - ١٣٦ - . وما استنبطه من الأحكام من آية الضوء - ٦ - من سورة المائدة. والفوائد الجلية التي يذكرها عقب قصص الأنبياء وغيرهم... وانظر إلى تلك الإشارة اللطيفة في تفسيره لقوله تعالى في سورة الأحزاب - ١٣ -: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ! أَبْقُوا هَذِهِ الْآيَةَ. فَأَبَانَ - رحمه الله تعالى - بإشارته أن المناداة بالوطنية وترك الأخوة الإيمانية والرابطة الإسلامية من أعمال الجاهلية وليست من الإسلام وهذه فائدة عزيزة لم أرَ من حام حولها، وهذه الآية تكمل ثلاث آيات جاءت في أن «الرابطة الوطنية» ليست «رابطة إسلامية».

وإذا جاوزنا هذه المعارف والأهلية ونظرنا في سيرته العطرة، وجدناه على جانب كبير من التأسّي والاقتداء، والخير والصلاح والهدى والفلاح، ومما لم يقيد في سيرته، ما حدثني به الشيخ محمد عبد الرحيم صديق المكي المتوفى سنة ١٤٠٨ - رحمه الله تعالى - صاحب المكتبة الصديقية ضمن خزائن مكتبة الحرم المكي أنه شاهد من عبادة الشيخ في صلاته، ما يدل على الخشوع والتعلق بالله تعالى، مما علمه عن مشاهدة كيفية الأداء لهذه العبادة

العظيمة وهذا نظير ما يتناقله الأشياخ عن الشيخ محمد حامد الفقي المتوفى سنة ١٣٧٩ - رحمه الله تعالى - من قوله: إنه لم يعرف عن مشاهدة أداء الصلاة على وجهها بخشوع وخضوع لله - عز وجل - مثلما عرفها من الشيخ أحمد شاكر المتوفى سنة ١٣٧٧ - رحمه الله تعالى - فنرجو أن يكون لهذا العلامة المفسر نصيب من قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -:

[وأما «العلم اللدني» فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال علي: إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه، وفي الأثر (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وقد دلّ القرآن على ذلك في غير موضع، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا • وَإِذَا لَآتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا • وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا •﴾ [النساء: ٦٦ -

٦٨]، فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به، يهديه الله صراطاً مستقيماً، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُمُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدَّيْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ... [الفتاوى ١٣/٢٤٥].

ويحضرني عند التنويه بتفسير هذا الشيخ الجواب البديع من العلامة المفسر الشيخ عبد الرحمن الدوسري المتوفى سنة ١٣٩٩ - رحمه الله تعالى - عندما سئل عن أهم شروط المفسر؟ فقال على البديهة: أن تملأ قلبه الفرحة بالقرآن ...

وأحسب أن الشيخ ابن سعدي ممن تحقق فيه هذا الأمر فتفجرت أنهار المعاني بين يديه وذلك من فضل الله عليه فرحمه الله وأجزل مثوبته.

وكما قيل: (إن معاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين) [انظر: الفتاوى ١٣/٢٤٥].

نفع الله الشيخ ابن سعدي بهذا السبق العلمي من عالم نجدي، فإني لا أعلم في النجديين من له تفسير كامل لكتاب الله تعالى بهذا السبك والجودة فقد قضى الشيخ - رحمه الله تعالى - الدين عن من قبله، وسبق من بعده، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقد كتب الله لهذا التفسير من القبول والانتشار ما بلغ مبلغ الليل والنهار فطبع عدة طبعات منها:

١ - طبعة المطبعة السلفية بمصر، نجز أولها في حياة المؤلف وآخرها بعد وفاته على إعواز فيها من التطبعات، وسقط بعض الجمل والكلمات؛ لظروف الطباعة آنذاك.

٢ - طبعة المؤسسة السعيدية بالرياض، بتحقيق محمد زهري النجار، وقد أفسدها بإدخالات عليها ليست منه، وقد أفرد في نقد هذه الطبعة تلميذه البار الشيخ محمد بن سليمان بن عبد العزيز البسام رسالة باسم «كشف الستار عن تلفيق وتعليق النجار».

٣ - طبعات تتابعت منها ما طبع عن الأولى، ومنها ما طبع عن الثانية.

٤ - ثم طبع طبعة مصححة جُرِّدَتْ من إدخالات النجار المذكور.

٥ - والآن هذه طبعة تميّزت بالحسينيين تصحيحها من التطبيع والسقط ومن إدخالات النجار عليها، مقابلة على نسختين خطيتين، مفصلة المقاطع مفهومة الموضوعات والفوائد، ينبغي أن تكون أصلاً، يدفع الإخوان ما يقع لهم من تصحيحات وملاحظات إلى ناشرها؛ لاستدراكها في طبعة لاحقة - بإذن الله تعالى - والله ولي التوفيق.

وكتب

بكر بن عبد الله أبو زيد

٨ شعبان ١٤٢١